رمزية الذات والحياة في بردة كعب بن زهير

The symbolism of self and life in The Heel of Ben Zuhair

أ. م. د. محمد محمود ياسر الجوراني

(الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية)

Assist.Profa.Dr. Mohammed Mahmoud Yasir Aljourany

Emai; mjourany@gmail.com

University of Mustansiriya /
College of Literature the department of Arabic language

مستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة دلالات رمزية لقصيدة لاقت من الاهتمام والتداول أكثر مما نالته أي قصيدة في ديوان الشعر العربي قديماً وحديثاً؛ لشاعر مخضرم كان له حظ وافر من الشعر لما يتمتع به شعره من أصالة، وهو الشاعر كعب بن زهير بن أبي سُلمى، صاحب قصيدة (البُردة) التي امتدح بها النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحضرته.

وقد أوسمناه بِـــ (رمزية الذات والحياة في بردة كعب بن زهير)، إذ جرى الاستدلال والبحث في رمزية الإشارات والدلالات البارزة في القصيدة؛ تنوعت بين الاعتذار وقصة الشاعر مع الرسول ﴿ﷺ﴾، والتقرب منه بعد أن أهدر دمه، ثم بينونة سعاد وما تعنيه من دلالات بينة أو رمزية في القصيدة، ومروراً بما كان للناقة من ذكر في أبيات القصيدة وما تمثله من دلالات وفك طلاسم هذه القصيدة التي تعددت الشروح حولها.

ويعالج البحث بنية المقاصد في مقاطع القصيدة ثم شروحها، وما تمتاز به في أداء الغرض، ومعالجة هموم الشاعر، والتعبير عمّا يدور في خلجات نفسه، عتاباً وغزلاً وهجاءً ومدحاً ووصفاً، مع ما يفصح عنه الشاعر وعلاقتهما برمزية الموت والحياة، هذه الثنائية المتلازمة دائماً، ثم الحديث عن تلك الأغراض وأهميتها لدى الشاعر، بدءاً من الافتتاحية ووصولاً للأغراض وانتهاءً بطلب السماح والرضا من الرسول في خاتمة القصيدة للوصول إلى الغرض المنشود، وتحقيق ما كان يأمله ويرجوه في قصيدته، وكذلك يتطرق البحث الى بنية القصيدة والموضوعات المتعددة والأساليب التي يجنح اليها الشاعر لافتتاح قصيدته، إذ يحاول البحث تكريس مفهوم يحيط بالحدود النصية لتحقق الرمزية واقترانها بالتحقق الكامل للنص بما يعبر حدود الجنس الأدبي لتبيان ثنائية الموت والحياة، ورصد حدود اتساع هذا المفهوم الرمزي ودلالته.

الكلمات المفتاحية: **(رمزية – الذات – الحياة – بُردة – كعب بن زهير)**

ABSTRACT:

This research examines the symbolic connotations of a poem that received more attention and circulation than any poem in the Diwan of Arabic poetry, old and new; The Prophet of The Great Muhammad (pbuh) and his god in his presence.

We have given him "the symbolism of the self and life in The Heel of Ibn Zuhair", as the symbolism of the references and semantics in the poem was inferred, varied between apology and the poet's story with the prophet (r) and getting close to him after he had wasted his blood, then Benoit Suad and what it means of clear or symbolic connotations in the poem, and passing through The

mention of the poem and the connotations it represents and the demeaning of this poem, which has been explained in many ways.

The research deals with the structure of purposes in the poem syllables and then its explanations, and what it has in the performance of the purpose, and the treatment of the poet's concerns, and the expression of what is going on in the creations of himself, a reproach, a flirtation, a satire, a praise and a description, with what the poet reveals and their relationship to the symbolism of death and life, this dualism always syndrome, and then talking about These purposes and their importance to the poet, from the opening to the purposes to the request for forgiveness and satisfaction from the prophet in the conclusion of the poem to reach the desired purpose, and achieve what he hoped and hope in his poem, as well as the research deals with the structure of the poem and the various topics and methods that wing The poet has to open his poem, as the research attempts to enshrine a concept that surrounds the textual boundaries to achieve symbolism and its association with the full verification of the text to cross the boundaries of the literary race to show the duality of death and life, and to monitor the limits of the breadth and significance of this symbolic concept.

Key words**: (Symbolism - Self - Life - The Heel - Kaab bin Zuhair)**

المقدمة

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

والحمد لله ربِّ العالمين وبه رجائي وثِقَتِي.

أَمَّا بعدَ حَمْدِ اللهِ المُــتفضل والْمُنْعِمِ بإلهامِ الْحَمْدِ لعَبيده، حَمْدًا وشكراً مُوافيًا لنعَمه، ومُكَافئًا لمَزِيده، والصلاةُ والسلامُ على سيد الخلق اجمعين الْمَبعوثِ رَحمةً للعالمينَ، وقُدوةً للعَامِلِينَ، مُحَمَّدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ، والرسولِ العربيِّ، حَبيبِ الرحمنِ وخَليلِه، ورسولِه الْمُؤْتَمَنِ على تَبليغِ رِسالاتِه وأَداءِ تَنزيلِه، الداعي بالْحِكمةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ إلى سَبيلِه، وعلى آلِه الطيبين الطاهرين مَصابيحِ الظُّلَمِ، ويَنابيعِ الْحِكَمِ، وشَآبيبِ الكَرَمِ، فإني مُوردٌ في هذا الكتابِ دراسةً موجزة عن قَصيدةَ كَعبِ بنِ زُهَيْرٍ التي امــتــدح بها رسولَ الله ﴿ﷺ﴾، وأَنْشَدَها بِحَضْرَتِه الشريفةِ، وبِحَضْرَةِ أصحابِه الْمُهاجِرِينَ والأنصارِ (رَضِيَ اللهُ تعالى عنهم أَجْمَعِينَ) حيث أسبر في الاستدلال والتعريف والوقوف عند الجوانب الرمزية والتلميح الأسطوري في بردة كعب بن زهير.

والأمر الذي حدا بي إلى كتابة هذا البحث هو:

- الوقوف على فضائل وكرامات مَن قِيلَتْ بحقه هذه القصيدة ألا وهو الرسول العظيم محمد ﴿ﷺ﴾.

- والتعرف على جمالية الصورة الأدبية واللغوية والتراثية لرمزية ثنائية الحياة والموت في أبيات هذه القصيدة، إذ تناولنا بعد المقدمة حياة كعب بن زهير وشاعريته ونشأته ومكانته الشعرية، ثم قصة اسلامه وما لحقها من مراحل انتهت عند مدحه للرسول الأعظم محمد ﴿ﷺ﴾ ليهديه بردته، واستفدنا من رواية العلماء واهتمامهم بالقصيدة وروايتها وأهم من تعاقبوا على شرحها، ثم الولوج في بنية القصيدة وتحليلها وفق ما اخترناه في موضوع البحث فكان التساؤل، سعاد أم الحياة؟ والناقة أم الذات؟ أعقبها خاتمة ونتائج للبحث.

وباللهِ تعالى الْمُستعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

- **كعب بن زهير- ت ٦٦٢م / ٢٤ هـ:**

هو كَعبُ بنُ زُهيرِ بنِ أبي سُلْمَى - بضَمِّ السينِ- (ابن هشام، ١٩٩٠م، الصفحات ٥٠١ - ٥١٥) المزني، أبو "المضرب"، وجاء في شروح: (ابن الانباري، ١٩٨٠م، الصفحات ٨٣-٩٠)، و (جمال الدين الأنصاري، ١٩٨٤م، الصفحات ٣٢-٣٧) على نفس السياق.

واسمُ أبي سُلْمَى: ربيعةُ بنُ رِياحٍ -بكَسْرِ الراءِ - بعدَها ياءٌ آخرَ الحروفِ، بن قرط بن الحارث بن مازن بن حلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هذمة، أَحَدُ شعراء بَنِي مُـزَيْـنَـةَ، شاعر عالي الطبقة من أهل نجد ويعد من فُحولِ الشُّعراءِ هو وأبوه الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى أحد الشعراء المقدمين على سائر الشعراء، صاحب المعلقة الثالثة (الزوزني، ١٩٩٢م، صفحة ٧٠) ، و (الشنقيطي، ٢٠٠٣م، صفحة ١١٢)، التي مطلعها: (ديوان زهير، ٢٠٠٨م، صفحة ٧٤)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَـمْ تَكَلَّـمِ بِحَـوْمَانَةِ الـدُّرّاجِ فَالمُتَثَلَّـمِ

ويلقب كعب بن زهير بِـ (ذو البرة) ذكره عمرو بن كلثوم في معلقته، يقال له برة القنفذ (الجاحظ، ١٩٦٩م، صفحة ٦/ ٤٦٤)، وذلك في قوله: (الزوزني، ١٩٩٢م، صفحة ١٢٩) و (الشنقيطي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٤٧)،

وَذَا البُـرَةِ الذِي حُـدِّثْتَ عَنْـهُ بِهِ نُحْمَـى وَنَحْمِـي المُلْتَجِينَـا

أما ولادة كعب فلا يعرف التأريخ ولادته مثل كثير من الشعراء في القديم، لكنه تُوُفِّيَ سنة (ست وعشرين للهجرة) (٢٦هـ) (ستمائة وخمسة وأربعين) (٦٤٥م).

وينحدر الشاعر كعب بن زهير من قبيلة مزينة، والنسبة اليها مُزني؛ ومزينة أمهم عرفوا بها، وهي مزينة بن كلب بن مريرة ومنهم كعب بن زهير وإليه ينسب إسماعيل بن إبراهيم المزني صاحب الشافعي (القلقشندي، ١٩٨٠م، صفحة ٣٧٥) و (ابن حزم، ١٩٨٢م، صفحة ٢٠١) ، ومزينةُ قبيلة ذات علو وشرف.

وقد افتخر كعب بنسبه في شعره فهُم أهل عزم قديم، ومجد تليد، وأصحاب نسب كريم، ومحتد طيب يقول كعب مخاطباً مزرد بن ضرار: (السكري، ١٩٥٠م، الصفحات ٦٤ – ٦٧)

ألا أبْـلغـا هـذا الـمُـعرِّضَ أنّـهُ ... أيقظانَ قَالَ القـولَ إذ قـال أم حَـلَـمْ
فإن تسألِ الأقـوامَ عـني فـإنـني ... أنا ابنُ أبي سُلْمَى على رَغْم مَنْ رَغَـمْ
أنا ابنُ الذي قد عاشَ تسعـيـنَ حجـة ... فَـلَـم يَـخْـزَ يومـاً في مَعـدٍّ ولم يُـلَمْ
وأَكْـرمَه الأَكْـفاءُ في كلِّ مَـعْـشَرٍ ... كِـرامٍ فـإن كـذَّبتَني فاسـألِ الأُمَـمْ
أعيرّتنـي عـزّاً عزيـزاً ومـعشراً ... كراماً بنـوا لـي المجدَ في باذخ أشـمّ
هُـم الأصـل مني حيثُ كنتُ وإننـي ... من الـمُـزَنيِّينَ الـمُـصَفّيْنَ بالـكَـرَمْ
هـمُ ضربوكم حينَ جُـرْتُمْ عن الهُـدَى ... بأسيافهم حتى استقتم علـى الـقـيـمْ
وسـاقتْك منهم عُصـْبةٌ خِـنْـدفـية ... فما لكَ فـيهـم قَـيْـدُ كَفٍّ ولا قَـدَمْ
همُ منَعوا حَـزْنَ الحِـجَـازِ وسَـهْـلَـه ... قديماً وهم أَجْـلَـوْا أباكَ عن الـحَـرَمْ

- **شاعريته ونشأته ومكانته الشعرية:**

ظهرت شاعريته في وقت مبكر ولا غرو في ذلك فهو ينتمي إلى بيت من بيوتات الشعر التي تألَّقت في الجاهلية، ولم يحظ أحد من الشعراء بالشهرة كما حظي كعب بن زهير، فهو شاعر ابنٌ لعائلة معرقة بالشعر انحدرت شاعريتهم من ربيعة وورث الشعر من طرفي أبيه زهير بن أبي سلمى – شاعر جاهلي معروف –، وأمه كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم بن غطفان، وورثه من بعده أبناؤه وأحفاده، إذ كان في بيت كعب أحد عشر شاعراً من نسل أبي سلمى جد كعب بن زهير، ولم يبخل عليه أبوه بالحكمة والأدب، ويقال إن ابنه المضرب كان شاعراً واسمه عقبة بن كعب لقب بِـ (المضرَّب)؛ لأنه شبب بامرأة فضربه أخوها بالسيف ضربات كثيرة فلم يمت، وكذلك حفيده العوام بن عقبة بن كعب كان شاعراً أيضاً، وله أخ شاعر مفلق معروف هو بجير، وله أخت اسمها سلمى وهي شاعرة أيضاً وابنا بنته سلمى: العوثبان وقُريضُ، وخاله بشامة بن الغدير الغطفاني وابنا عمته (تماضر) الخنساء، وأخوها صخر، وحفيده العوام بن عقبة بن كعب – كلهم شعراء– ولكعب ابن آخر من ولده الحجاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة (المضرَّب) بن كعب، وهو شاعر مشهور، (ابن الأثير الجزري، ١٩٩٩م، صفحة ١/ ٨٩) ، وآخرون منهم: (الأصفهاني، ٢٠٠٢م، صفحة ١٧/

٥٧)، و(العسقلاني، ١٩٩٤م، صفحة ٣/ ٢٩٥)؛ كما وجاء على ذكره، ونسبه في كتب الأنساب، مثل جمهرة النسب (الكلبي، ١٩٨٦م، صفحة ٢٨٨)، ولب اللباب في تحرير الأنساب (السيوطي، ٢٠٠٥م، صفحة ٢/ ٢٥٥)؛ وله أخوة آخرون، وقد شب كعب بينهم شاعراً حتى أدركوا الإسلام فأسلم الأخوة جميعا إلا كعباً. (العسقلاني، ١٩٩٤م، صفحة ٣/ ٢٩٥)

وفي هذه البيئة التي كانت تنتج القرائح الشعرية عند الرجال والنساء التي عاش فيها كعب نشأ في واحة من الشعر وتربى فيها وفطر على قول الشعر؛ مما قوى ملكته الشعرية وتجلت عنده منذ الصغر فشبَّ كعب بن زهير شاعراً حكيماً فصيحاً.

- **<u>إسلام كعب بن زهير:</u>**

إن حياة كعب في الإسلام تبدأ مع قصة اسلامه في أواخر السنة التاسعة للهجرة، وكان ذلك على إثر اسلام أخيه بجير، فحين علم كعب بذلك قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٣)

أَلا أَبلِغا عَنّي بُجَيراً رِسالَةً ... فَهَل لَكَ فيما قُلتَ بِالخَيفِ هَل لَكا
شَرِبتَ مَعَ المَأمونِ كَأساً رَوِيَّةً ... فَانهَلَكَ المَأمونُ مِنها وَعَلَّكا
وَخالَفَت أَسبابَ الهُدى وَتَبِعتَهُ ... عَلَى أَيِّ شيءٍ وَيبَ غَيرِكَ دَلَّكا
عَلى خُلُقٍ لَم تُلفِ أُمّاً وَلا أَباً ... عَلَيهِ وَلَم تُدرِك عَلَيه أَخاً لَكا

هذه رواية ابن كثير (ابن كثير، ١٩٩٠م، صفحة ٦/ ٦٩٩)، و (ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٤/ ١٠٨) وقد اختلفت الرواية في هذه الأبيات، (التبريزي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٠)، و(ابن الأنباري، ١٩٨٠م، صفحة ٨٨)

ولما فتح رسول الله ﴿ﷺ﴾ مكة، بعد أن قدم من منصرفه عن الطائف، كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد قتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه؛ ومن شعراء قريش ابن الزعبرى وهبيرة بن أبي وهب، وقد هربوا في كل وجهة، فإن كان لك في نفسك حاجة فاقبل إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك في الأرض، وكتب بجير إلى كعب يقول له: (ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٤/ ١٠٨)، و(ابن كثير، ١٩٩٠م، صفحة ٣/ ٧٠٠)

فَمَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهْيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لا العُزَّى وَلا اللَّاتَ وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كانَ النِّجَاءُ وَتُسْلِمُ
لَدَيْ يَوْمَ لا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

فلما بلغ ذلك كعباً ضاقت الأرض عليه، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضرةٍ من عدوه، وقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بُدّاً، حتى قدم إلى رسول الله، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال الرسول ﴿ﷺ﴾: نعم، قال أنا كعب بن زهير، قال ابن اسحق: فوثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فكفَّه النبي ﴿ﷺ﴾، وقال: "دعه عنك فقد جاء تائباً نازعاً". (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٥)

ثم أنشد لاميته التي اشتهرت بِـ (بانت سعاد) المشهورة في مدح الرسول والمسلمين، وذكر فيها خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه، وقد أبدى الرسول ﴿ﷺ﴾ اعجابه ببعض معاني القصيدة ونالت استحسانه، ولما وصل كعب بن زهير إلى قوله: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٣)

إنّ الرّسُــولَ لَنــورٌ يُسْتَضــاءُ بِـــه ... مُهَـنّـدٌ مِنْ سُـيوفِ اللهِ مَسْـلُـــولُ
في عصبَةٍ مِنْ قُــرَيْشٍ قــالَ قــائِلُهُمْ ... بِبَـطْــنِ مَـكّـةَ لَمّــا أَسْلَمُوا زُولُــوا
زالُوا فمَا زالَ أَنْكاسٌ ولا كُــشُــــفٌ ... عِنْـدَ الِّلـقــاءِ ولا مِـيلٌ مَـعــازيلُ

فنظر الرسول ﴿ﷺ﴾ لمن حوله، وكأنه يقول لهم: اسمعوا شاعرنا الجديد، إلى أن قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٤)

يَمْشونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْمُهُمْ ... ضَرْبٌ إذا عَرّدَ السُـودُ التَـنابِيـــلُ
لا يَــفْــرَحونَ إذا نَالتْ رِمــاحُهُمُ ... قَــوْماً ولَيْـسوا مَجازِيعاً إذا نِيـــلُوا
لا يَــقَــعُ الــطّعْنُ إلاّ في نُحورِهِمُ ... وما لَهُمْ عَنْ حِياضِ الموتِ تَهْــلـــيلُ

إذ عرَّض بالأنصار لغلظتهم عليه، فأنكرت قريش عليه وقالوا لم تمدحنا إذ هجوتهم (ابن الأثير الجزري، ١٩٩٩م، صفحة ١/ ٨٩) و (الأصفهاني، ٢٠٠٢م، صفحة ١٧/ ٥٧)، و (ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٦٠) وآخرون.

ولما فرغ منها، قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجلله بأن كساه ببردته الشريفة، (الأصفهاني، ٢٠٠٢م، الصفحات ١٧/ ١٩-٩٢)؛ ومن هنا عرفت القصيدة بالبردة.

<u>عناية العلماء بالقصيدة وروايتها وأهم شراحها:</u>

رَوى قصيدةَ "بانت سعادُ" كثيرٌ من مصادر الشعر الجاهلي؛ فقد رواها "التبريزيُّ" (ت٥٠٢ هـ) عن الحجَّاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب بن زهير، أحَدِ أحفاد كعب؛ الذي يُعد

شرحه للقصيدة من أقدم الشروحات التي ظهرت إن لم يكن أول شرح لها. (التبريزي، ٢٠٠٣م، صفحة ٦)

وكذلك من أبرز الشروح التي ألفت حول القصيدة: شرح أبي بركات بن الأنباري، وشرح عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩ هـ)، وشرح ابن هشام الانصاري (ت٧٦١ هـ)، وشرح الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط (ت ٨٦٧هـ)، وشرح السيوطي (ت٩١١هـ)، وغيرها كثير من الشروح المخطوطة. (ابن حجة الحموي، ١٩٨٥م، صفحة ٨)

وقد اتَّفقَ الرُّواة والنُّقاد على أنَّ كعبًا أحَدُ الفحول المجودين في الشِّعر، واصفين شعره بقوَّة التماسك، وجزالة اللفظ والمعنى، والمعروف عن كعبٍ أنَّه قال الشعر وهو صغير، وكان أبوه ينهاه ويضربه؛ مخافة أن يقول ما لا خير فيه، (التبريزي، ٢٠٠٣م، صفحة ٧) وقد جعله ابن سلام الجمحي في شعراء الطبقة الثانية (ابن سلام الجمحي، ١٩٨٠م، صفحة ١/ ٩٧)

وأورد ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد قصيدته الكعبية وهو يتحدث عن فضائل الشعر (ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٨٤م، صفحة ٥/ ٢٨٨)، وقال عنه: "كعب بن زهير في الرعيل الأول، والصدر المتقدم" (ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٨٤م، صفحة ٥/ ٢٨٦)؛ وقال عنه ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء: "وكان كعب فحلاً مجيداً" (ابن الأثير الجزري، ١٩٩٩م، صفحة ١/ ١٥٤)

- **بنية القصيدة:**

تتكون قصيدة كعب من أربع وحدات، هي: (الغزل، ووصف الرحلة، ومدح الرسول، والاعتذار).

فالغزل هو الغرض الذي يسهل تناوله لمن أراد، فالمناسبة والعواطف والدربة والاطلال والغزل نفسه يساعد على بناء قصيدة الغزل؛ والغزل هو الغرض الذي يتقاسم مع معظم الأغراض، وهي شائعة في افتتاحيات القصائد الجاهلية والإسلامية، وكان غزلهم يبدأ بذكر الطلول الدارسة، وذكر الفراق وانتقال الظعائن، واستعادة صورة الحبيب النائي، وذكر محاسن المرأة، وقد جاء غرض الغزل عند كعب في مطالع قصائده وفي هذه المقدمة الغزلية يرق اللفظ، فعندما مدح كعب الرسول ﴿ﷺ﴾، مهَّد لذلك في الغزل فقال: (التبريزي، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٦)

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَــوْمَ مَتْبــولُ مُتَــيَّمٌ إثْرَهــا لــم يُفْــدَ مَكْبــولُ

فأما المدح والاعتذار فلا يقبلان التأويل بغير ما صرح به الشاعر فالغرض الأساس من القصيدة قائم عليهما وأما الغزل ووصف الراحلة ففيهما للدارسين قراءات كثيرة ونظرات متعددة على مرِّ العصور.

إن النظرة العجلى لمستهل بردة كعب بن زهير (بانت سعاد) لتدعو كل من تهيأت له معرفة قصة نظمها إلى التساؤل؛ لماذا سعاد؟ أهي حقا فتاة سامرت جنان الشاعر وسلبت لُبَّه إلى درجة لم يستطع معها الانفكاك عنها حتى في لحظات اصطراعه مع الموت؟ أم أنها ترميز وأسطورة لمدلول مستقر في ذهن الشاعر إبان تلك اللحظات العصيبة؟

ثم إن تساؤل القارئ لا يقف عند الطلسم (سعاد)؛ بل أن ذهنه ليشغل من جديد مع استرساله في قراءة أبيات البردة التي تنقله إلى أسطورة جديدة هي (الناقة) أهي حقا راحلته التي امتطاها في رحلته الشاقة إلى المدينة كي يعلن إسلامه بحضرة الرسول أم أنها رمز لمدلول مستقر في ذهنه لا يقل شأنا لديه عن مدلول الرمز (سعاد)؟

- **<u>سعاد أم الحياة؟</u>**

لقد أطبق كثير من النقاد القدماء على فهم الأبيات من (١_١٤) من البردة على أنها مقدمة غزلية يمكن النظر إليها على أنها عمل متكامل رائع جار مع التقليد الأدبي في مذهبه البدوي بافتتاح القصائد عبر الوقوف على أطلال الحبيبة ومخاطبتها والحنين إليها ووصف جمالها، وهي بمنزلة تمهيد لما تهدف إليه القصيدة من مقاصد وغايات، ومقدمة كعب هذه تصف _عندهم _ بينونة الحبيبة سعاد وأثر ذلك الفراق العميق في نفس الشاعر، فما كان منه إلا أن يمضي أيامه يستحضر صورتها ويئن إلى لقياها ولثم رضابها العذب. (ابن الأثير الجزري، ١٩٩٩م، الصفحات ١٣٨- ١٤١)

ومنهم من رأى أن (سعاد) هذه فتاة غير حقيقية وإنما هي عرف دأب عليه الشعراء في مفتتح قصائدهم ولم يحد كعب بن زهير عن هذا العرف وهو يمدح الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول الدكتور (محمد بن سعد بن حسين) في كتابه "المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة": "ولم يستحسن البعض بدء كعب قصيدته بالغزل، وهو يمدح أشرف الخلق وخاتم المرسلين، غير أن تلك عادة العرب فهم يبدؤون قصيدهم بالنسيب في أيّ مقام كان، فهو منهج لا غبار عليه"؛ ثم يقول: "على أن بعضاً من شيوخنا فسّروا ذلك وبيّنوه على وجه من الرمز والإشارة؛ فمن ذلك ما ذكره الدكتور (عبد السلام سرحان) في كتابه "مختارات من روائع الأدب"، فقال: "وسعاد هذه فتاة خيالية اخترعها خياله وفراها تصوّره ليبدأ على حبّها إنشاده ويوالي في ذكرها إنشاده، ويرتع في مرابعها بخير تقديم على عادة الشعراء في شعرهم القديم. (ابن هشام، ١٩٩٠م، الصفحات ١٩-٢٠)؛ وهذا الرأي ذهب إليه كثير من العلماء.

ولكن الملاحظ أنه وصفها بعدم الولاء ورماها بعدم الوفاء وتحدّث عن أنها هجرته وقطعت حبل وصله، وأبلت أسباب ودّه، واختفت عنه في مكان بعيد لا يمكن الوصول إليه إلا على ظهور العتاق النجيبات المسرعات في السير المغذّات في الرحيل... ثم انتقل إلى وصف أمله في رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يعفو عنه ويغفر له زلته ويؤمنه على سعاد التي كنّى بها – فيما أرى– عن راحته وهناءته التي افتقدها زمناً طويلاً فكانت تهرب منه، وتفرّ أمامه، وتبعد عنه، فيحاول أن يركب إليها سفائن الصحراء حتى وجدها أخيراً في طريق الأمل والرجاء وعرف أنها تقيم لدى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه".

ويختم الدكتور (محمد بن سعد) تعليقه على قول أستاذه بالقول: "وهذا رأي جديد وهو عندي حريّ بالتقديم والتقدير، إذ أنه ينزع بمطلع القصيدة عن التغزّل في موقف ومقام يجب أن ينزهها عن مثل هذا". (ابن هشام، ١٩٩٠م، الصفحات ١٩– ٢٠)

لقد انجلت _ بعد التي واللتيا _ من لباب الدارسين المحدثين الذين عنوا بالبردة وكعبها صورة سعاد الفتاة حقيقية كانت أم خيالية لسبب واحد وكفى به حجة وهو أن الشاعر ليس في موقف الغزل الصريح بكل ما اضطم عليه هذا الغرض من وصف مفاتن الحبيبة والشوق إلى اللقاء بها ولوعة فراقها وترك الأحبة والأهلين أملا بالظفر بها والوقوف على الديار التي أمست وباتت فيها.

لقد كان كعب بن زهير وبكل إيجاز أما أن يموت من يومه أو يدفع عنه الموت ردحاً من الزمن بلسانه الذي رمى به في مهاوي الردى والمنية من قبل.

إنها إذن مسألة حياة أو موت فناء أو بقاء وتلك لحظة تتوقف عندها كل نواميس البشر وتطرح معها كل رغبات النفس وتهون إزاءها الأماني وتلفظ أمامها اللذات.

ولا شك أن مطلع القصيدة ومحورها يحملان موضوعاً ينأى عن التشبيب والغزل؛ لأنَّ الموقف لا يسمح بذلك مهما كانت عادة الشعراء العرب من افتتاح قصائدهم، فهذا موقف جديد لم يعرفه شعراء العرب، خارج عن عادتهم التي ألفوها؛ وهو موقف أجلّ من كلّ موقف عرفه شاعر قبل ذلك؛ إذ لا بد من ان يكون المطلع دالاً على مضمون ما بعده، أو ملائماً له؛ فالترابط والانسجام هو من الصفات الحسنة في البناء الشعري، حتى انه لم يعدُّ من مميزات النسيج المترابط لبناء القصيدة. (ابن الأثير الجزري، ١٩٩٩م، صفحة ٢/ ٢٣٦)

وكان كعب ابن زهير يدرك ذلك حقَّ الإدراك، ويُدرك أنّ عليه أن يتخيّر أطيب أسلوب يخاطب به النبوة الخاتمة، وأطهر كلمة يقولها بين يدي الرسول ﴿ﷺ﴾ ، فلا يُعقل أن يبتدئ إيمانه بعظمة الإسلام بالتشبيب بفتاة حقيقية أو خيالية؛ ولو كان مطلع القصيدة يشير إلى غزل حقيقي في فتاة حقيقية لنهاه

رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن ذلك ولا ريب؛ فمن ذا الذي يجرؤ على أن يعرض حبّه وغزله وتشبيبه على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو في موقف التائب العائذ بالرسول.

ولا يتصور أيضا أن كعباً ذكر في مطلع قصيدته فتاة غير حقيقية، اخترعها خياله ليتغزّل بها جرياً على عادة أو اتباعاً لقاعدة؛ لأن تلك لم تكن عرفا جاريا وعادة مسلم بها في الشعر العربي قبل الإسلام، وكان أمام كعب أساليب أخرى يتخيّر منها أطيبها وأطهرها.

فضلاً عن أنّ الخطر الذي يتهدّده، كان كافياً ليبعد عن قلبه النساء والغزل والتشبيب وهماً أو خيالاً أو حقيقة، فلا بدّ _ إذن_ أن يختار كعب أسلوباً يناسب إيمانه الجديد ويناسب مقام النبوة وعظمة رسالة الإسلام وأنّى للغزل والتشبيب والنسيب أن يلائم ذلك، وفي هذا السياق يتساءل الدكتور علي المحاسنة، "إذا كانت سعاد امرأة حقيقية، إذا كان ذلك حقيقة، فكيف يتغزل الشاعر بامرأة هجوها هجاءً مراً ولاذعاً ومؤذياً في أحسن الصفات التي ينشدها المرء؛ إن هذا اللون من الغزل لا يمكن أن يعد غزلاً حقيقياً، كما أن سعاد هذه لا يمكن أن تكون امرأة حقيقية. (المحاسنة وأبو صفية، ٢٠٠٥م، صفحة ٤٩٦)

ولذا مضى الدارسون يجتهدون في فك طلسم (سعاد) والاهتداء إلى مدلول هذا الرمز، فطرح الدكتور عبد الجبار المطلبي على طاولة البحث فكرة المشركين فقال: "إن بينونة سعاد في قوله (بانت سعاد) تشير إلى بينونة المشركين أو قل بينونته، أي انفصاله عنهم، أولئك الذين اختارهم من قبل وكان في معسكرهم ومكث فيهم، وسعاد هذه – وهي ترمز إلى المشركين – على جمالها ليس وراء حبها طائل فلا يصدق وعدها ولا تقبل النصح من غيرها وهي خليلة خلط الفجع بدمها في المصائب والكذب في القول وإخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر وهي فوق ذلك لا تدوم على حال وليست مواعيدها إلا الأباطيل؛ وتلك صفات ظاهرها يتصل بالحبيبة الجميلة وباطنها نقد عنيف لوعود المشركين بالنصر وأباطيلهم في ذلك". (عبد الجبار المطلبي، ٢٠٠٠م، صفحة ٣٤٠)

وهذه فكرة مع جرأتها لا نجد ما يعضدها بين ثنايا القصيدة بمعناها العام بل على العكس نجد ما ينقضها ذلك أن الشاعر قد رمز لجماعة الذكور ورؤوس القوم – المشركين – بالمفرد المؤنث – سعاد – وهذا يجعل الملمح الدلالي ما بينهما بعيداً.

ثم إنَّ الشاعر إنْ رام هذه الإشارة الدلالية وهو بحضرة الرسول ﴿ﷺ﴾ فقد بالغ في بيان تعلقه بالمشركين وهيفه بهم وإعجابه بما عندهم وشوقه إلى اللحاق بهم راكباً النوق النجيبات المراسيل بغية بلوغ مضاربهم، فلا يعقل أن يرى كعب _ المزهو بإسلامه حديثاً _ المشركين كـ (أغن غضيض الطرف مكحول) حيث (الأغنّ) من الغزلان وغيرها: الذي في صوته غـُنـّـه، والغـُنـّـة: صوت لذيذ يخرج من الأنف ويشبه صوت الرياح في الأشجار الملتفـّة، فيقال: وادٍ أغنٌّ، وصوت الذباب في

الغياض، وهو معنى قولهم: روضة غنـّاء. (عدنان علي رضا، ٢٠٠٤م)، وحيث يطلق الإغنّ في مقام التشبيه لا يتبادر الذهن إلى غير الظبي (ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ١٦)

وقوله: (غضيض الطرف) غـَضُّ الطرف في الأصل: عبارة عن ترك التحقيق واستيفاء النظر، وهو المراد هنا، وتارة يكون لقصد الكفّ عن التأمـّـِل، حياءً من الله أو من الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، أي: يكفـّوها عمـّا لا يحلّ لهم النظر إليه.

وقوله: (مكحول) يعني أن حدقة الغزال كلـّها سوداء، ليس فيها بياض، ومعناه أنـّه شبـّه المرأة بالغزال (ابن حجة الحموي، ١٩٨٥م، صفحة ٢٨) و(ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ١٦) و(منهل بالراح معلول) و(ماء معنية صاف) وغير هذا على وفق ما يلحظ في الأبيات من (٢_٧).

ويطرح قارئ آخر فكرة الجاهلية وهو يفسر الأسطورة (سعاد) فيرى أن سعاد تمثل رمزاً إلى «الجاهلية» فهي السعادة للشاعر، وهي تتميز ببهاء مظهرها وسوء مخبرها، وإنَّ الشاعر على الرغم من كونه عازماً على القدوم إلى الرسول؛ فإنه لا يزال ينظر إلى الجاهلية التي لا يمكن بلوغها أو الوصول لها تعبيراً عن التغير الذي يحدث في الواقع. (سمر الديوب، ٢٠٠٩م، صفحة ٤/ ٨٤)

وكان لا بد إذن من رحلة ينأى بها الشاعر عن هذه «الجاهلية» الباهرة الجمال الرديئة الأخلاق ولقد كان كعب شاعراً جاهلياً؛ وكانت الجاهلية بكلّ أعرافها وأفكارها ملكت عليه نفسه، حتى ظنّ أنها هي الحق وهي التي تستحق الحبّ والولاء.

ولقد بلغ من ذلك من نفسه حدّاً دفعه إلى أن يرتكب الإثم العظيم الذي لا يصدر إلا عن كافر محارب لله ولرسوله، حين هجا رسول الله ﴿ﷺ﴾ هجاءً أعلن فيه رفضه للإسلام وتمسّكه بجاهليته ودنياه وأهوائه ونزواته، وما ورثه عن آبائه من هذه الجاهلية؛ لقد كان هذا هو حبّه الأول الذي ملك عليه نفسه، وحدّد على أساسه موقفه ورأيه وكلمته. (السيوطي، ٢٠٠٥م، صفحة ٢/ ٢٥٥)

ما يقال في رد فكرة تفسير سعاد بالمشركين، يقال أيضا في تفسيرها بالجاهلية؛ بل ربما كانت الفكرة اللاحقة مستوحاة من الأولى دون تنويه.

إن فكرة تفسير البردة بالبردة أمر يكشف النقاب عما خفي عن مدارك القراء سواء أعمد الشاعر إلى ذلك الغموض أو جاء منه ذلك من دون قصد.

لذا يبدو استشفاف فكرة الحياة من الرمز (سعاد) أمراً ملائماً للأحداث التي ساقها الشاعر وهو يقطع الأميال نحو المدينة المنورة كي يعلن إسلامه بحضرة الرسول ﴿ﷺ﴾ ، ذلك أن الهاجس الوحيد الذي كان يساوره – لا شك – هو النجاة من الموت فمن حقه إذن أن يكون معنى القلب مكبله خوفا

على أنفاسه من أن تصعد ولا تنزل فلما بلغه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أهدر دمه، لجأ إلى مزينة لتجيره من خطر الموت الذي يتهدّده، فأبت عليه، وانتشر الخبر بأنه مقتول وتخلّى الناس عنه، وتخلّى عنه أخوه، وشعر أنه وحيد!

وأخذت الحياة تبتعد عنه شيئاً فشيئا، وكان قلبه ما زال معلقاً بها، "متيّماً بها"، أضناه حبّها فهو "متبول"، كأنه لا يستطيع انفكاكاً عنها " لم يُفدَ مكبول"! وهذه هي النقطة الثانية المهمة في نفسية كعب، حين أخذ يدرك أن هذه الحياة التي كان ينعم بها أخذت تغيب عنه مع ما كان يحمل لها من جمال في نفسه، فكأنها الغادة الجميلة "الهيفاء" التي يزهو جمالها ويبدو في صوتها "أغنّ"، وفي طرفها: غضَّة "غضيض الطرف مكحول"، وفي قوامها مقبلة ومدبرة: "هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة"، وفي اعتدال طولها "لا يشتكي قصر منها ولا طول" وفي ثغرها وأسنانها: "تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت...." هذا الجمال كلّه الذي كان يحسّه في حياته الدنيا لم يسعفه وهو في حالة الخطر، فنقضت حياته في الجاهليةُ عهدها، وكانت عنده أثيرة لولا نقضها لعهدها وتخليها عنه؛ ولكنها هي الحياة التي أخذ يكتشف مساوئها ومساوئ دنياها.

وكعب كان من الشعراء الذين أحسوا إحساساً شديداً بالحزن والاسف لفقد شبابهم، يقول الدكتور (حسين عطوان): " وكعب بن زهير وابن مقبل أكبر من يمثل الشعراء المخضرمين الذين تألموا لفقد شبابهم وجزعوا من مشيبهم، وأخذوا يستذكرون ما مضى من أيامهم وما كان فيها من مباهج ومناعم". (حسين علوان، ١٩٨٧م، صفحة ٦٩)

إنها الدنيا المملوءة بالخيانة والغدر وعدم الوفاء، مما يرمي بالفواجع والكذب والإخلاف: "فجع وولع وإخلاف وتبديل"، حتى كأن هذه الصفات طبيعة ممزوجة بدمها لا تستطيع الخلاص منها: "لكنّها خُلّة قد سيط من دمها"! ولقد ألمح الشاعر نفسه إلى تفسير الأسطورة (سعاد) بالواقع (الحياة) في مواضع من قصيدته تلميحاً يكاد يقترب من التصريح، فرمزية سعاد للحياة يعضدها – فضلاً عما سبق– أمور هي:

- إن لفظة (سعاد) باشتقاقها من الأصل (سعد) ومجيئها على روي لفظ (حياة) لتوحي إلى ما ذهبنا إليه، إذ لم يعهد شاعرنا متيما بسعاد في غير بردته هذه ثم أنه لم يكن شغوفاً باسمها فيكثر من ترداده مراراً في تقديمه الغزلي للبردة كما فعل أقرانه الهائمون بخليلاتهم، ولذا يمكن القول: إن سعاد هي الحياة السعيدة التي كان ينعم بها الشاعر، بغض النظر عن تقييدها بالمعتقد الفاسد (الجاهلية) أو مريديه (المشركين) ذلك إن كلمة "سعاد" تعبّر عن حبّه الذي كان يملأ قلبه، حبّه الذي إن فرط به ماتت نفسه واضمحل وجوده.

- إنَّ الشكوى الطاغية في القسم الأول من القصيدة _الغزل _ تكتنفها دلالات التعارض في المحبوبة بين ظاهرها وباطنها من ناحية، ومن تعارض بين المحبوبة والشاعر من ناحية أخرى، فالمحبوبة على الرغم من بهائها الظاهري الخارجي فإنها تتميز بصفات داخلية سيئة، ثم إن اسم المحبوبة "سعاد" يوحي بهذه التعارض أيضاً، فهي لم تسعد الشاعر؛ بل قد أسقمته وأدخلت الحزن إلى قلبه حقبة من الزمن.

وهذا هو حال الحياة عموما مليئة بالتقلبات والمتناقضات لا تستقر مع امرئ على حال بعينها وكذا حال الناس مع الحياة واللبيب منهم من لم تغره الدنيا بغرورها.

- إن نظرة فاحصة في المقدمة الغزلية التي جاءت من (١٤) بيتاً تبيَّن أنها مليئة بالحركة والتقلب والاضطراب كشأن الحياة، فالألفاظ المهيمنة على نص المقدمة طغى عليها الطابع الحركي عموما، ذلك أنها:

- أما ألفاظ دالة على الزمن الدائر مثل (إثرها، غداة البين، أضحى، مواعيد، مواعيدها، أبد، طوال الدهر، ما منت وما وعدت، الأماني والأحلام، أمست).
- أو أفعال دالة على الحركة السريعة في معناها فضلاً عن بنائها إذا ما علمنا أن الأفعال عموماً تفيد الدلالة على الحركة والتغيير من حال إلى حال، مثل: (بانت، لم يجز، تجلو عوارض، ابتسمت، رحلوا، شجت، يعجلن، تجلو الرياح، ما تدوم، قد سيط، زعمت، وما تمسك، كما تمسك، لا يغرنك، لو أنها صدقت، أرجو وآمل).
- أو أسماء مفاعيل قفَّى بها أبيات المقدمة بشكل ينبئ عن سر حشرها بهذه الكثرة وهي: (متبول، مكبول، مكحول، معلول، مشمول، مقبول) وربما رام الشاعر من ذلك تصوير حاله مع الحياة التي أدبرت عنه أو تكاد فعمد إلى هذا البناء ينتقي من ألفاظه الدالة على من وقع عليه الفعل وأضحى لا حيلة له أمام بطش الفاعل (الحياة) لكن الشاعر يأبى الاستسلام والخضوع على الرغم من قسوة الزمن به وتكالب الرزايا عليه وفقده الأمان والطمأنينة.

فالمهيمنات اللفظية على نص المقدمة – إذن – تكشف عن أن الشاعر كان في دوامة مع الحياة يتحرك ذات اليمين وذات الشمال حركة خاطفة بحثا عن سبل النجاة وهروباً من الموت، لقد كان ضائعاً تائهاً هائماً في البوادي غير مستقر في مقام بعد أن فقد الأمان فلا غرو من أن يظهر أثر ذلك الهيام في الأرض في مقدمة ما قال ليصور بخياله الواسع وأفق نظره البعيد حاله تلك ولما وصل في قوله إلى لب الموضوع (المدح والاعتذار) جرى شعره هادئاً متسلسلاً منتظماً من ألفاظ راكدة ساكنة في مدلولها غايتها الإبلاغ وإلقاء الحجة فحسب فصور بشعره هدوء باله

كيف لا وهو بحضرة الرسول العظيم الذي أنزل رحمة للعالمين، وقد بلغ الذروة في الهدوء والاتزان الروحي حين قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٣)

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضَـــاءُ بِهِ مُهَنَّـدٌ مِن سُـيوفِ اللهِ مَسْـــلُولُ

- إن الشاعر قد خلع على متيمته سعاد الصفات التي وردت مقصورة على لفظ الحياة في التنزيل العزيز من مثل: (لعب، متاع الغرور، زينة، لهو، متاع قليل)، فالشاعر لما قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، الصفحات ٦-٧)

٢- وما سـعادُ غَـدَاةَ البَـيْنِ إذ رَحلُـوا إلا أَغَنُّ غَضِـيضُ الطَّـرْفِ مَكْحـولُ

٤- تَجْلو عَوَارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتَسَـمَتْ كأنّـــهُ مُنْهَـــلٌ بـــالرَّاحِ مَعْلُـــولُ

كان قد اقترب كثيراً في هذه الرمزية من قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]، علماً أن البيت الأول يروى: (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا)، وهذه الرواية تجعل الأحداث جميعها تدور في فلك سعاد وحدها وهو أمر لا يتحقق مع (رحلوا) الذي قد يصرف تفسير سعاد بالحياة عن مقصده.

ولما قال كعب: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، الصفحات ٧- ٨)

٧- يَا وَيحهَا خُلَّةً لو أَنَّهَا صَدَقَـــتْ مَا وَعَدَتْ أَو لَو انَّ النُّصْحَ مَـقـبولُ

٨- لكنَّهَـا خُـلَّـةٌ قَـد سِيطَ مِن دَمِهَا فَـجْـعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وتَبـديـــلُ

٩- فما تدومُ على حـالٍ تكـونُ بِهـا كَما تَـلَـوَّنُ في أثـوابِـها الـغـولُ

كان قد اقترب من قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [ال عمران: ١٨٥] فالشاعر ساق نسق الألفاظ في قوله: (فجع وولع وإخلاف وتبديل) كما سيقت في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، وواضح هنا أنّ هذا الوصف لسعاد أقرب لوصف حال الحياة الدنيا وما تحمل للناس من مصائب (فجعٌ) وغدر وكذب (ولعٌ)، وإخلاف وتضليلُ؛ وكأنّه بلغه وصف القرآن الكريم للدنيا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]؛ فكأنّه سمع هذه الآية وأمثالها في كتاب الله، فقال: " فلا يغرنّك ما منّتْ وما وعدتْ "؛ إنّ هذا الوصف أقرب ما يكون للحياة الدنيا وفتنتها وغرورها، وما فيها من أمانيّ وأحلام لا تزيد عن غرور وتضليل.

إن مرحلة الانتقال من الحياة الجاهلية إلى حياة الإسلام كانت بالغة القصر إذا ما قيست بالتحول الهائل الذي طرأ على الحياة العربية بعد الفتح الإسلامي.

- ويلاحظ الدارس أن الشعراء منذ السنوات الأولى للإسلام بدأوا يتأثرون تأثيراً واضحاً بالمعاني الدينية الجديدة وبالأسلوب القرآني مما يؤكد أن مواجهة الشاعر المخضرم للمجتمع الجديد كانت مواجهة سريعة فرضت عليه التكيف السريع (علي حسين البواب، ١٩٨٥م، الصفحات ١٤- ١٥) كما يلحظ عند كعب بن زهير إذ نجده في مديحه للنبي والمهاجرين يرق ويلين ويستخدم ألفاظاً وعبارات ومعاني إسلامية جديدة.

- **الناقة أم الذات؟**

إن مبالغة الشاعر في وصف الناقة _ مع أهميتها في حياة البدوي _ لا يمكن أن يَرْقَ في أي حال من الأحوال إلى مبالغته في وصف الحبيبة (سعاد/ الحياة) التي لم تنل مما قال نصف ما قال في الناقة، فقد خصص كعب (٢٢) بيتاً من بردته للناقة أي: ما يمثل ثلث القصيدة، وهذا الأمر يدعو الباحث إلى التأمل الدقيق قبل أن يطلق الحكم معتمداً على ظاهر القول، فما قاله الشاعر في الناقة يفوق حتى ما قاله في الغرض الأساس من قصيدته _الاعتذار ثم مدح الرسول ومن معه؛ وهذا كان متداولاً كثيراً مع أكثر الشعراء في ذلك العصر؛ إذ يتم تناول الناقة وتسخيرها في الشعر على أنها عنصر أساسي من عناصر بناء القصيدة العربية، وعدت الناقة من أساسيات الحياة في تلك الفترة، يقول الدكتور مصطفى الشورى: "لم تكن الناقة مجرد حيوان في العصر الجاهلي فقد احتلت مكانة عظيمة بلغت حد التقديس"، (مصطفى عبد الباقي، ١٩٩٦، صفحة ١٢٠) فالناقة هي وسيلة الرحلة التي توصله الى غايته، إذ قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، الصفحات ٩- ١٠)

أَمْسَتْ سُعادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلاّ العِتاقُ النّجيباتُ المَراسِيلُ
ولَنْ يُبَلِّغَها إلاّ غُذافِرَةٌ ... لها عَلَى الأيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ
مِنْ كُلِّ نَضّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهولُ
تَرْمِي الغُيوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إذا تَوَقّدَتِ الحَزّازُ والمِيلُ

فوصف الناقة بأنها بالغة القوة والاصالة، تجتاز عقبات ومشقات لا تقوى ناقة أخرى عليها وهذه الصورة توحي لنا بحديث الشاعر عن نفسه ومدى ما يعترضه، فبعد أن أعلن عن تمسكه بالحياة قرر خوض غمار الرحلة المضنية المؤدية إلى الظفر بالحياة والنجاة والأمان والنعيم الجديد، وأشار إلى أن السبيل إلى ذلك هو (في المدينة المنورة)، في مكان لا يبلغه إلا الإبل القوية السريعة، وأخذ يصف هذه الإبل وصفاً دقيقاً ليُعبّر عن عظيم الرحلة التي يريدها وأهميتها وخطورتها، فلا تصلح لها الإبل الضعيفة، وكان كعب يعمد دائماً إلى جعل ناقته وسيلة للهروب من الهموم أو من ذكرى المحبوبة والديار ومثيراته في نفسه من أحزان، إلا في هذا الموضوع. (محمد السيد، ١٩٨٦م، صفحة ٥٨)

ومن خلال هذا الوصف الدقيق الذي بلغ به درجة عالية من الفنّ والجمال، يُعبّر كعب عن شدّة شوقه للقاء الرسول ﴿ﷺ﴾، وذلك بوصف السرعة الهائلة التي تمضي بها الإبل في رحلتها إلى النبوة الخاتمة.

إنه تصوير يحمل القوة والحركة وجمال الصورة وتناسق الألفاظ وقوة السبك والتركيب وجمال اللحن؛ فالإبل تُسرع (تخدي) على قوائم خفاف (يسرات) كأنّها الرماح الصلبة (ذوابل) لا تكاد تمسُّ الأرض من شدّة سرعتها، وكأنّها تمسُّ الأرض مسّاً خفيفاً جدّاً، وكأن أعصاب قوائمها (العُجايات) وهي رماح سمر لقوتها وصلابتها، وإذا مسّت الحصى فرّقته بقوتها ورجوعهما من شدّة السرعة، وقد عرقت لا من التعب لأنها قوية؛ بل من شدّة الحر الذي بلغ حدّاً انتشر السّراب (العساقيل) على الجبال الصغيرة (القور)، فكأنّها تلفّعت به أو التحفت به، كأنّ سرعة تقلّب ذراعيها مع هذا الحَرّ ومع هذه السرعة، حين اشتدّ النهار بحرّه سرعة ذراعي المرأة الطويلة (ذراعا عيطل) المتوسطة السنّ (نصَف) في لطمها على خدّيها لفقدها ولدها، يجاوبها نساء لا يعيش لهنّ أولاد، فالنُّكد جمع نكداء وهي التي لا يعيش لها ولد، والمثاكيل جمع مثكال وهي كثيرة الثكل، المرأة النوّاحة، مسترخية العضدين (رِخوة الضبعين)، فقدت صوابها (معقول) لمّا بلّغها الناعون موت ولدها البكر، فاشتدّ لطمها لخدّيها، والمعنى الذي أراده كعب من هذه الصورة: أن هذه الناقة سريعة، (محمد السيد، ١٩٨٦م، صفحة ٥٨) فكعب شبه ذراعي هذه الناقة في سرعة سيرها بذراعي هذه المرأة في لطمها. (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة الحاشية)

ويسير الوشاة حول "سعاد" (جنابيها) ليمنعوا من نقل صاحبها إلى بر الأمان، وليثبّطوا عزيمة كعب بأنه مقتول؛ فلا غرو _ بعد هذا _ من أن تكون الناقة في البردة هي ذات الشاعر ولا نرضى بغير هذا المدلول في تفسير هذه الرمزية يعضد ذلك أمور تلحظ في قول الشاعر منها:

- ميله العجيب إلى صبغ الناقة بصبغة الرجل الشجاع الأصيل الكريم النجيب الشديد، وإسناده أفعال العقلاء إليها، فقد خلع الشاعر صفات على الناقة يجعل منها كائناً أسطورياً وذلك من خلال التشبيهات العديدة التي تتوالى وتتعاقب بطريقة فريدة، وكأنَّ الحديث عن الناقة وقوتها إنما هو حديث عن صاحبها وراكبها، ويوحي في الوقت نفسه أنَّ الناقة تمثل وسيلة وحيدة للانتقال بصاحبها من حالة إلى أخرى، بمعنى أنَّ الشاعر يجسد خصائص «القوة والسرعة والقدرة على التحمل» في الناقة وصاحبها، كما يؤكد دورها في الانتقال من موقف وطور إلى آخر.

ولا شك أن مبالغة الشاعر في التعبير عن خصائص الناقة الجسدية والذاتية من ناحية والمناخ الذي تتحرك فيه من ناحية ثانية، يوحي إلى أن المقصود هو ذات الشاعر لا الناقة نفسها، فكأنَّ (الناقة/ الذات) تمثل نقيضاً للطبيعة فهي كائن أسطوري جبار منتصر، ففي الأبيات: (١٥ إلى ٢٣)

تحدث عن صفات الناقة الجسدية، ثم ينتقل في البيت (٢٧) إلى تقديم صورة عن قسوة الحر في الصحراء، وتبدو (الناقة/ الذات) قاهرة للطبيعة بصبرها وصلابتها وإصرارها.

وعلى الرغم من هذه الأغراض المتعدِّدة في القصيدة، فإنَّها تضمُّها وَحْدةٌ نفسيَّة وشُعورية واحدة، كما نلحظ براعة كعبٍ في الانتقال من كلِّ غرَضٍ إلى الغرض الَّذي يليه، فهو ينتقِل من الغزَل إلى وصف النَّاقة في بيتٍ يربط بين الغرَضين: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ٩)

١٤- أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لاَ يُبَلِّغُهَا إِلاَّ العِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ

ويَنتقل من وصف الناقة إلى الاعتذار للرَّسول –صلَّى الله عليه وآله وسلَّم – بقوله: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ١٩)

٣٥- تَسْعَى الوُشَاةُ جَنابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

والضمير في "جنابَيْها" يعود على الناقة وعلى سعاد، والذي نَجِده يوحِّد بينهما في لُغَةٍ رمزيَّة سامية في ختام المقطع الثَّاني الذي يصف فيه النَّاقةَ قبل الانتقال إلى الاعتذار.

وهكذا يَفْعل في بقيَّة أجزاء القصيدة في بناء مُحْكَم فيصلٍ بين الأبيات بعضها البعض، بانتقالاتٍ مُحْكمة النَّسْج تشهد لها لغة القصيدة التي تمتلئ بغريب الألفاظ؛ مما يدلُّ على أنَّ معجم كعب ليس معجماً سهلاً، بل هو معجمٌ عميق كما يتبيَّن من قراءة ديوانه كلِّه.

- إن الشاعر بعد تطويله في الفخر غير المباشر من خلال الرمز _الناقة _ وبعد بث شكواه وحرقته من الوشاة والخلان الذين يرونه هالكا لا محالة عمد في نهاية الأمر وقبل انتقاله إلى الغرض الرئيس إلى التصريح بشخصه حين قال: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ١٩)

٣٧- فقُلتُ خَلُّوا سَبيلِي لا أبا لَكُم فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمَنُ مَفعُولُ

وهنا أصبح الطريق له وليس للناقة التي انقطع نفسه وهو يصف محاسنها فكان حرياً به أن يطلب إخلاء الطريق لها ولا سيما أن هذا الفعل أكثر ملاءمة لها من أفعال أخرى أسندها إلى الناقة وهي مختصة بالعقلاء.

فالشاعر أدرك بعد هذا الحصار من الطبيعة القاسية مرة، ومن الوشاة مرة ثانية، ومن الخلان مرة ثالثة، أنَّ نهايته اقتربت، وإن الحياة توشك أن تفارقه وعندها لا بد من التوجه إلى قوة تتجاوز هذه القوى جميعاً، وهي قوة قدرية خاضعة للإرادة الإلهية، ويقترن بالتقدير الإلهي الحديث عن مصير الإنسان «الموت»، فالشاعر لم يعد يملك الخيارات الكثيرة وليس أمامه إلا أحد أمرين: أما اليأس المطلق والاستسلام التام للموت الذي يحيط به، واما التسليم للذات الإلهية وقدريتها، وقد اختار الشاعر الأمر الثاني بعد أن وجده أكثر رجحاناً، لأنه ينسجم مع الفكرة الدينية، ولأنه يزرع في نفس

الشاعر الثقة والأمل الجديد بالظفر بالحياة البائنة، ولأنه يمهد للاعتذار والمديح للرسول الكريم الذي توجه الشاعر إليه.

وفي ضوء هذا فإنَّ ما كان مصدراً للموت يصبح مصدراً للحياة، أي أنَّ الرسول حين أهدر دم الشاعر أصبح سبباً لموت الشاعر، وهو نفسه يصبح سبباً لإنقاذه، ولا يتم ذلك إلا من خلال الاعتذار للرسول والإيمان به وبرسالته، فالشاعر في هذا ينتقل إلى مرحلة الامتلاء الحقيقي التي تمثل التواصل مع الرسول والرسالة وجماعة المسلمين والتوحد بهم ومعهم، ومن ثم ينتصر الشاعر على ذاته التي فقدت التوافق الاجتماعي وعلى المعاناة التي واكبته حقبة بفعل شعوره بفقدان «سعاد/ الحياة» فضلاً عن تجاوزه حالة التأزم والقلق التي تتجلى في رحلته نحو المجهول.

- إن الشاعر يبدو ميالاً وهو يصف الناقة إلى الفخر المبطن والزهو بالنفس وشحذ الهمة في وقت اصطراعه مع الموت والتشبث بتلابيب الحياة، فقد كان موقناً أن حياته في خطر وكان في خلده أنه لن يفلت من العقاب الدنيوي بعد أن أمر الرسول ﴿ﷺ﴾ بهدر دمه وعلى الرغم من نأي الحياة (سعاد) عنه لم يركن إلى التقاعس واليأس والقعود عن اللحاق بها فركن إلى نفسه يشحذ همتها ويزرع الأمل فيها وقد عهدها نفسا أبية شجاعة لا تأبى الضيم وانتظار المنية، على وفق ما يلحظ في البيتين (١٤-١٥).
- إن الشاعر قد آلمه ما يلقى من أقوال الوشاة والمغرضين الذين يتربصون به الدوائر ولكنه مضى في شمم وإباء مواصلاً الرحلة المباركة ونجد هذا المعنى مقروناً بالناقة التي يقول فيها: (ديوان كعب بن زهير، ٢٠٠٢م، صفحة ١٢)

٢٢- يَمشِي القُرَادُ عليهـــا ثُمَّ يُزْلِقُـهُ مِنهـــا لِبَـــانٌ وأَقْـــرَابٌ زَهَـــالِيـــلُ

وفي يقيني أن حمل معنى البيت على ظاهره فيه من السذاجة والغباء ما لا يليق بالشاعر؛ فأي حشرة حقيرة هذه التي تستأهل أن تذكر في ذلك المقام المبجل، وأي ناقة هذه التي تزيح عن نفسها القراد بصدرها وخواصرها؟ لا شك إنهم الوشاة الذين تمسكوا بتلابيب الشاعر فأكلوا لحمه حياً فلم يكن أمام الشاعر من بد في التصريح بهم والشكوى من مكرهم وكيدهم كما في البيتين (٣٥، ٤٢)، فقد أحاط الوشاة بالشاعر وسعوا إلى تثبيط عزيمته، ويتجلى ذلك في تأكيدهم المتيقن بأنَّ الشاعر مقتول ويتأكد ذلك اليقين بالتعبير الأسلوبي، الذي جاء في سياق جملة على لسان الوشاة بالتوكيد بـــ (إن واللام الداخلة على الخبر): إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول. (علي حسين البواب، ١٩٨٥م، الصفحات ١٤- ١٥)

- تراكم ألفاظ الطبيعة الحية في البردة قصد تشبيه العقلاء من مثل: (الفيل، الجمال الزهر، ضرغامين، سباع الجو، ليوث الأسد، القراد، أغن، الغول) يوحي إلى أن الشاعر واجد في

هذه الألفاظ التي تنبض بالحياة غاية المدح، وقد ركن إليها في أعلى مراتب المدح عنده وهو مدح الرسول كما في البيت (٤٧).

فحينما يسوق التعظيم في المدح نراه يأتي بمفردةٍ غير واقعية يختلف في تفسيرها كالغول مثلاً، فحقيقة الغول أنّ كلّ ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والعرب تسمّـي كلّ داهية غولاً على التهويل والتعظيم، على ما جرت عادتهم في غيرها من الأشياء التي لا أصل لها كالعنقاء، – في القاموس عنق: " العنقاء: الداهية، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم – (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، صفحة ٣ / ٣١١) مادة (عنق) وغيرها.

ونقل السهيلي أنّ النبيّ ﴿ﷺ﴾ أبطل حكم الغول، حيث قال: (لا عدوى ولا غول)، والغول: التي تتراءى بالليل. (السهيلي، ٢٠٠٩م، صفحة ٧/ ٢٩٥)، وبين السهيلي أن المراد من الإبطال: إبطال ما كانت الجاهلية تتقوّله من أخبارها وخرافاتها مع الغول. (ابن الانباري، ١٩٨٠م، صفحة ٩٦) و(ابن هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٤٢)

وأورده التبريزي في شرحه على نفس المعنى في القصيدة (التبريزي، ٢٠٠٣م، صفحة ١٦)، ومما قاله: " ثلاثة أسماء لم تخلق: الجـُود والغول والعنقاء... وقد سميت الغول غولاً بالتلـّون، يقال، تغوّلت عليّ البلاد: إذا تلوّنت".

فلا غرو بعد هذا من أن يتخذ كعب الناقة رمزاً عن ذاته ونفسه، وإنما اتخذ الشاعر الناقة دون غيرها ترميزاً لذاته؛ لأن العلاقة بين (الذات/ الشاعر) و(الرمز/ الناقة) جلية بادية لكل من يمعن النظر في أحداث البردة ذلك أنَّ الشاعر يعيش حالة القلق والتأزم بسبب الرحلة المضنية في طبيعة صحراوية قاسية، وبسبب مجتمع يتخلى عن الشاعر ولا يجيره؛ لأن الحفاظ على شخص قد أهدر دمه أمر لا يطيقه الكثيرون فكانت الشكوى طاغية في البردة لأنَّ المحبوبة «سعاد/ الحياة» تخلت عن الشاعر تماماً، كما أنَّ قبيلته وخلانه قد تخلُّوا عنه كذلك؛ لأنَّ الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ قد أهدر دمه، فضلاً عن قساوة الحياة وصعوبتها، وقساوة الصحراء ومتاهاتها.

إنَّ قرار الرحلة يعني أنَّ الشاعر ينتصر للحياة على الموت ويتخذ الناقة بوصفها رمزاً عن ذاته الطامحة بالظفر بالحياة وسيلة لتحقيق هذه الغايات المتعددة، فقد كان مثقلاً بالقلق والخواء والركود، ولكنه سرعان ما ينتقل فيه من الاستسلام إلى الحركة ومن اليأس إلى الأمل وقد تحقق له ما أراد وعاش القابل من أيامه في كنف الإسلام عزيزاً أبياً وصحابياً جليلاً وشاعراً ذا قضية مقدسة.

وما كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليبدي إعجابه الشديد فيخلع بردته على كعب من أجل أبيات من النسيب والغزل؛ بل إن الفكرة الرائعة التي تعرضها القصيدة في ألفاظ قوية وتعبيرات غنيّة ووقع فنّي مؤثّر، هي التي أثارت إعجاب رسول الله ﴿ﷺ﴾. (ثعلب، ١٩٦٠م، صفحة ١/ ٣٠٣)

إنها تمثّل رحلته من الفناء إلى الخلود ومن الظلمات إلى النور، وقد كان كعب صلباً قوياً صابراً فيها لم يستسلم لليأس وهي رحلة تستحقّ كل هذا الجهد والعناء والبذل والصبر والمعاناة ولا يُعقل أن يكون شاغله في هذه المعاناة النفسية حبّ فتاة حقيقية أو خيالية.

الخاتمة والنتائج:

قدَّم البحث من خلال التفاعل مع المنظومة اللغوية والأدبية وجهود النقاد والعلماء طرحاً نوعيًا، يحاول حسم تحديد حجم التحقق النصي للغة وشرح الأبيات ودلالتها الرمزية والايحائية في ضوء الطروحات البلاغية والنصية والسيميائية، على نحو يحدد ما تضيفه القصيدة من دلالات عرجنا على شرحها ضمن الحدود النصية المختارة في موضوع البحث يحيط بإنجاز تلك الظواهر التي قدمناها في متن البحث.

وبعد الانتهاء من هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج الأساسية نوجزها فيما يأتي:

- من خلال تحليلنا لهذه القصيدة وجدنا أنّها متلاحمة الأجزاء، تسيطر عليها عاطفة مهيمنة من مقدمتها مروراً برحلتها حتّى الغرض الأخير، وهذا يوضّح خطأ من يذهب إلى أنّ القصيدة المتعددة الأغراض عبارة عن أجزاء منفصلة لا رابط بينها؛ وهذا الخطأ اتضح منذ أن تحدث عنه ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي والحاتمي عن وحدة البناء الفني للقصيدة الجاهلية وتناوله كثير من الدارسين المحدثين.
- المقدمة الغزلية مليئة بالحركة والتقلب والاضطراب كشأن الحياة، وقد طغى عليها الطابع الحركي ذلك أنها: أما ألفاظ دالة على الزمن الدائر أو أفعال دالة على الحركة السريعة في معناها وربما رام الشاعر من ذلك تصوير حاله مع الحياة التي أدبرت عنه فأنتقى من ألفاظه الدالة على من وقع عليه الفعل أمام بطش الفاعل (الحياة).
- المهيمنات اللفظية على نص المقدمة تكشف عن أن الشاعر كان في دوامة مع الحياة يتحرك بحثا عن سبل النجاة وهروباً من الموت، لقد كان ضائعاً تائهاً بعد أن فقد الأمان ليصور بخياله الواسع وأفق نظره البعيد حاله تلك ولما وصل في قوله إلى لب الموضوع (المدح والاعتذار) جرى شعره هادئاً متسلسلاً منتظماً غايته الإبلاغ وإلقاء الحجة.
- إن الشاعر يبدو ميالاً إلى الفخر المبطن والزهو بالنفس وشحذ الهمة في وقت اصطراعه مع الموت، فقد كان موقناً أن حياته في خطر وعلى الرغم من نأي الحياة (سعاد) عنه لم يركن إلى اليأس والقعود عن اللحاق بها فركن إلى نفسه يشحذ همتها ويزرع الأمل فيها.

- تراكم ألفاظ الطبيعة الحية في البردة قصد تشبيه العقلاء يوحي إلى أن الشاعر وجد في هذه الألفاظ غاية المدح، وقد ركن إليها في أعلى مراتب المدح عنده وهو مدح الرسول.
- مطلع القصيدة ومحورها يحمل موضوعاً ينأى عن التشبيب والغزل؛ لأنَّ الموقف لا يسمح بذلك؛ فمن يجرؤ أن يعرض غزله وتشبيبه على رسول الله وهو في موقف التائب العائذ به، وقد ألمح إلى تفسير الأسطورة (سعاد) بالواقع (الحياة) في مواضع من قصيدته، فرمزية سعاد للحياة توحي إلى إن سعاد هي الحياة السعيدة التي كان ينعم بها الشاعر.
- إن مبالغة الشاعر في التعبير عن خصائص الناقة الجسدية والذاتية يوحي إلى أن المقصود هو ذات الشاعر لا الناقة نفسها، وهذه المبالغة لا يمكن أن يرقى في أي حال من الأحوال إلى مبالغته في وصف الحبيبة (سعاد/ الحياة) التي لم تنل مما قال نصف ما قال في الناقة، ما يمثل ثلث القصيدة، فما قاله الشاعر في الناقة يفوق حتى ما قاله في الغرض الأساس من قصيدته – الاعتذار ثم مدح الرسول ﴿ﷺ﴾ ومن معه.
- نلحظ براعة كعبٍ في الانتقال من كلِّ غرَضٍ إلى الغرض الَّذي يليه، فهو ينتقِل من الغزَل إلى وصف النَّاقة في بيتٍ يربط بين الغرَضين، بانتقالاتٍ مُحْكمة النَّسْج تشهد لها لغة القصيدة التي تمتلئ بغريب الألفاظ؛ مما يدلُّ على أنَّ معجم كعب ليس معجماً سهلاً؛ بل هو معجمٌ عميق كما يتبيَّن من قراءة ديوانه كلِّه.
- كعب كان من الشعراء الذين أحسوا إحساساً شديداً بالحزن والأسف لفقد شبابهم، تألموا لفقد شبابهم وجزعوا من مشيبهم، وأخذوا يستذكرون ما مضى من ايامهم وما كان فيها من مباهج ومناعم".
- إنَّ الشكوى الطاغية في القسم الأول من القصيدة – الغزل – تكتنفها دلالات التعارض في المحبوبة بين ظاهرها وباطنها من ناحية، ومن تعارض بين المحبوبة والشاعر من ناحية أخرى، فالمحبوبة على الرغم من بهائها الظاهري الخارجي فإنها تتميز بصفات داخلية سيئة، ثم إن اسم المحبوبة "سعاد" يوحي بهذا التعارض أيضاً، فهي لم تسعد الشاعر؛ بل قد أسقمته وأدخلت الحزن إلى قلبه حقبة من الزمن.
- مضى الدارسون يجتهدون في فك طلسم (سعاد) والاهتداء إلى مدلول هذا الرمز، "إن بينونة سعاد في قوله (بانت سعاد) ترمز إلى المشركين – على جمالها ليس وراء حبها طائل فلا يصدق وعدها ولا تقبل النصح من غيرها وتلك صفات ظاهرها يتصل بالحبيبة الجميلة وباطنها نقد عنيف لوعود المشركين بالنصر وأباطيلهم في ذلك".
- هناك رأي يقول: أن (سعاد) هي رمز لقريش طرحه الدكتور حيدر لازم (رحمه الله) في إحدى مؤتمرات ندوة بغداد في كلية التربية للبنات سنة ١٩٩٨م.

بُـردة كـعـب بـن زهـيـر

(١) مقدمة غزلية:

١- بَانتْ سُعَادُ فقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَـيّمٌ إثْرَهـا لَـم يُفْـدَ مَكْبُـولُ

٢- وَمَا سُـعَادُ غَـدَاةَ البَيْنِ إذ رَحَلُـوا ... إلا أَغَنُّ غَضِيـضُ الطَّرْفِ مَكْحُـولُ

٣- هَـيفَاءُ مُـقْـبِـلَةً عَجـزَاءُ مُـدْبِرَةً ... لا يُشْتَكَى قِـصَـرٌ مِـنْهَا ولا طُـولُ

٤- تَجْلُو عَوَارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتَسَـمَتْ ... كَـأَنَّـهُ مُـنْهَـلٌ بالرَّاحِ مَعْـلُولُ

٥- شُـجَّـتْ بِذِي شَبَمٍ مِن مَـاءِ مَعْنِيَـةٍ ... صَـافٍ بِـأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشمُولُ

٦- تَنْفِي الرِّيَـاحُ القَذَى عَنهُ وَأَفْرَطُـهُ ... مِن صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَـالِيـلُ

٧- أَكْـرِمْ بِها خُلَّةً لَـو أَنَّهَا صَـدَقَتْ ... مَواعيدَهَـا أَو لَو انَّ النُّصْـحَ مَقبـولُ

٨- لكنَّهَـا خُلَّةٌ قَـد سِـيطَ مِـن دَمِهَـا ... فَجْـعٌ ووَلْـعٌ وإخْـلافٌ وتَبديـلُ

٩- فما تدومُ على حَـالٍ تكـونُ بِهـا ... كَمَـا تَلَوَّنُ فـي أثوابِـهـا الغُـولُ

١٠- ولا تَمَسَّـكُ بالعَهدِ الـذي زَعَمَـتْ ... إلا كَما يُمسِـكُ المَـاءَ الغَرابيـلُ

١١- فلا يَغُرَّنْكَ مَـا مَنَّتْ وَمَا وَعَـدَتْ ... إنَّ الأَمَـانِيَّ والأحْـلامَ تَضليـلُ

١٢- كَـانَت مَواعِيـدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ... ومَـا مَواعيدُهَـا إلا الأَبَـاطيـلُ

١٣- أرجُـو وآمُـلُ أنْ تَـدنو مَوَدَّتُهَـا ... ومَـا اخَـالُ لدينَـا منـكِ تَنويـلُ

١٤- أمسَتْ سُـعادُ بـأرضٍ لا يُبَلِّغُهـا ... إلا العِتَـاقُ النَّجِيبَـاتُ المَرَاسِـيلُ

(٢) في وصف الناقَة:

١٥- ولَـنْ يُبَلِّغَهَـا إلا غُـذَافِرَةٌ ... لها على الأيـنِ إرْقَـالٌ وتَـبْغِيـلُ

١٦- مِن كُـلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَـتْ ... عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعْـلامِ مَجهُـولُ

١٧- تَرمِي الغُيُـوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إذا تَـوَقَّـدَتِ الحَـزَّازُ والمِيـلُ

١٨- ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَـا فَعْـمٌ مُقَيَّدُهَـا ... في خَلْقِهَا عَن بَنَاتِ الفَحْـلِ تَفْضِيـلُ

١٩- علْبَـاءُ وَجْنَـاءُ عَلْكُـومٌ مُـذَكَّرَةٌ ... في دَفِّـهَا سَـعَـةٌ قُدَّامَـهَا مِيـلُ

٢٠- وجِلْدُهَـا مِن أُطُومٍ لا يُؤَيِّسُـهُ ... طَلْـحٌ بِضَـاحِيَـةِ المَتْنَيْنِ مَهْـزُولُ

٢١- حَرْفٌ أَخُوهَـا أَبُوهَـا مِن مُهَجَّنَـةٍ ... وعَمُّـهَا خَالُـهَا قَـوْدَاءُ شِـمْلِيـلُ

٢٢- يَمشِي القُرَادُ عليهَـا ثُـمَّ يُزْلِقُـهُ ... مِنهَـا لِبَـانٌ وأَقْـرَابٌ زَهَـالِيـلُ

٢٣- عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بـاللحم عَـن عُـرُضٍ ... مِرْفَقُهَـا عَن بَنَـاتِ الزُّورِ مَفْتُـولُ

٢٤- كَـأنمَـا فَـاتَ عَيْنَيْهَـا ومَذْبَحَهَـا ... مِنْ خَطْمِهَـا ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيـلُ

٢٥- تَمُرُّ مِثلَ عَسِـيبِ النَّخلِ ذَا خُصَـلٍ ... في غَـارِزٍ لَم تُخَـوِّنْـهُ الأَحَاليـلُ

٢٦- قَنْوَاءُ في حَرَّتَيْهَـا للبَصِيرِ بِهَـا ... عَتَقٌ مُبِينٌ وفي الخَـدَّيْنِ تَسْـهِيلُ

٢٧- تُخْدِي على بَسَرَاتٍ وَهِيَ لاحِقَةٌ ذَوَابِلٌ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحْلِيلُ
٢٨- سُمْرُ العَجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمَا لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأَكْمِ تَنْعِيلُ
٢٩- كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ وقَدْ تَلَفَّعَ بالكُورِ العَسَاقِيلُ
٣٠- يَومَاً يَظَلُّ بِهِ الحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بالشمسِ مَمْلُولُ
٣١- وقالَ للقَوْمِ حَادِيهِم وَقَدْ جَعَلَتْ وُرْقَ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُو
٣٢- شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصِفٍ قامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ
٣٣- نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
٣٤- تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا ومِدْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَن تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ
٣٥- تَسعَى الوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وقَوْلُهُمُ إِنَّكَ يَا ابنَ أَبي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

(٣) اعتذارٌ للرسول:

٣٦- وقالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لا أُلْهِيَنَّكَ إني عنكَ مَشْغُولُ
٣٧- فقُلتُ خَلُّوا سَبِيلِي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمَنُ مَفعُولُ
٣٨- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يوماً على آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحمُولُ
٣٩- أُنْبِئْتُ أَنَّ رسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عندَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
٤٠- وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عندَ رَسُولِ اللهِ مَقْبُولُ
٤١- مَهْلاً هَدَاكَ الذي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ قُرْآنِ فيها مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ
٤٢- لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ ولَمْ أَذْنِبْ وقَد كَثُرَت فِيَّ الأَقَاوِيلُ
٤٣- لَقَد أَقُومُ مَقَاماً لَو يَقُومُ بِهِ أرى وأَسمَعُ ما لَم يَسمَعِ الفِيلُ
٤٤- لَظَلَّ يَرْعُدُ إلا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإذنِ اللهِ تَنْوِيلُ

(٤) مدحٌ للرسول:

٤٥- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لا أُنَازِعُهُ في كَفِّ ذِي نَغَمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ
٤٦- لَذَاكَ أَهْيَبُ عِندِي إذ أُكَلِّمُهُ وقِيلَ إنَّكَ مَنْسُوبٌ ومَسْؤُولُ
٤٧- مِن خادِرٍ مِن لُيُوثِ الأسْدِ مَسْكَنُهُ مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ
٤٨- يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ القَومِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ
٤٩- إذا يُسَاوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلا وَهْوَ مَغْلُولُ
٥٠- مِنهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الجَوِّ ضَامِرَةً ولا تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ
٥١- ولا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُطَرَّحَ البَزِّ والدَّرْسَانِ مَأْكُولُ
٥٢- إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

(٥) مدحُ الصحب الكريم:

٥٣- في فِتْيَةٍ مِن قُرَيْـشٍ قالَ قـائِلُهُـم ... بِبَطْنِ مَكَّـةَ لمَّـا أَسـلَمُوا زُولُـوا

٥٤- زالُوا فما زالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُـفٌ ... عِنـدَ اللقـاءِ ولا مِيـلٌ مَعَازِيـلُ

٥٥- شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَـالٌ لَبُوسُـهُمُ ... مِن نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَـا سَرَابِيـلُ

٥٦- بِيضٌ سَوَابِغُ قَد شُكَّتْ لَهَـا حَلَـقٌ ... كأَنَّهـا حَلَـقُ القَفْعَـاءِ مَجْـدُولُ

٥٧- يَمشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُم ... ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّـودُ التَّنابِيـلُ

٥٨- لا يَفرَحُونَ إذا نـالَتْ رِمـاحُهُـم ... قَوْمَـاً ولَيسُـوا مَجَازِيعَـاً إذا نِيلُـوا

٥٩- لا يَقَـعُ الطَّعْنُ إلا في نُحُورِهِـمُ ... وما لَهُم عن حِيَاضِ المَـوتِ تَهلِيـلُ

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير الجزري، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- ابن الفوطي الشيباني، **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٦٣.
- ابن حجة الحموي، **شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) في مدح رسول الله (ص)**، تحقيق: د. علي حسين البواب، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٥م.
- ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
- ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، لبنان، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
- ابن هشام الانصاري، **شرح "بانت سعاد"**، تحقيق: د. عبد الله الطويل، مصر، المكتبة الإسلامية، ط١، ٢٠١٠م.
- أبو البركات ابن الأنباري، **شرح قصيدة كعب بن زهير**، تحقيق: د. محمود حسن زيني، ط١، ١٩٨٠م.
- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م.
- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩م.

- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٤م.
- أبو عبد الله الزوزني، شرح المعلقات السبع، لجنة التحقيق في الدار العالمية، بيروت، الدار العالمية، (د.ط)، ١٩٩٢م.
- ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة، مطبعة المدني، ط٨، ١٩٨٠م.
- أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٢م.
- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، **جمهرة النسب للكلبي**، تحقيق: د. ناجي حسن، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٦م.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ط، مصر – القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
- أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢ – ١٩٥٥م.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبنانين، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- أحمد بن يحيى بن ثعلب أبو العباس، **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- أحمد الشنقيطي، **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، بيروت، دار الاندلس، ١٩٨٠م.
- الخطيب التبريزي، **شرح الخطيب التبريزي على قصيدة بانت سعاد** – تحقيق: عبد الرحيم يوسف الجمل، القاهرة، طبعة مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م.
- الخطيب التبريزي، **شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)**، المحقق: ف. كرنكو، تقديم: الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
- جلال الدين السيوطي، **كنه المراد في بيان بانت سعاد**، دراسة وتحقيق د. مصطفى عليان، بيروت، مؤسسة – الرسالة ناشرون، ٢٠٠٥م.
- جلال الدين السيوطي، **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
- **ديوان زهير بن ابي سلمى**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

- **ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى**، شرح أبو سعيد السكري، تحقيق: سامي مكي العاني، القاهرة، دار القومية للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٢م.
- د. السيد إبراهيم محمد، **قصيدة بانت سعاد، لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- د. حسين عطوان، **مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام**، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- د. سمر الديوب، **قراءة في لامية كعب بن زهير**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق – المجلد ٨٤، الجزء ٤، ٢٠٠٩م.
- د. عدنان علي رضا النحوي، **وقفة ورأي مع قصيدة كعب بن زهير/ البردة**، (بحث) دار النحوي للنشر، رابطة أدباء الشام، موقع اليكتروني، ١٥-كانون١- ٢٠٠٤م.
- د. محمود حسن أبو ناجي، **شرح جمال الدين بن محمد الأنصاري لقصيدة كعب**، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط٣، ١٩٨٤م.
- د. محمد عبد القادر أحمد، **دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي**، ط١، مصر- شارع عدلي القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م.
- د. محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
- د. مصطفى عبد الباقي الشورى، **الشعر الجاهلي تفسير اسطوري**، بيروت، مكتبة لبنان – الشبكة المصرية العالمية، ط١، ١٩٩٦م.
- عبد الجبار المطلبي، **آراء في دراسة النص**، (بحث) منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع١٧، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن بن عبد الخثعمي السهيلي، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ومعه السيرة النبوية لابن هشام** (ط. العلمية)، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، لبنان – بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- عبد اللطيف البغدادي، **مجلة المجلة**، العدد ١٠، القاهرة، ١٩٧٥م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان – صيدا، دار الكتاب العربي ١٩٩٠ ط ٣،
- علي المحاسنة، **قصيدة بانت سعاد، دراسة نقدية**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، مكة المكرمة، ج ١٧، ع ١٣٣، ٢٠٠٥م.

- محمد بن شاكر الكُتُبي، **فوات الوفيات**، تحقيق: احسان عباس، بيروت، مطابع دار صادر، ١٩٧٤م.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥م.
- محمد بن سعد بن حسين، **المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة**، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٩٨٦م.
- محمد بن عمران بن موسى المرزباني، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م.
- محمد شفيق غربال، **الموسوعة العربية الميّسرة**، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣م.
- هلال ناجي، **عبد اللطيف البغدادي وآثاره المطبوعة**، بيروت، مجلة الأديب، ١٩٧٢م.